# دراسة في الاستراتيجيات السردية لرواية "ساق البامبو"

**د. لي رن لونغ**
**محاضر في قسم اللغة العربية**
**كلية اللغات والثقافات الشرقية -جامعة الدراسات الدولية بسيتشوان**
**جمهورية الصين الشعبية**

**الملخص:**

يسترشد هذا البحث بنظريات علم السرد، مستخدم نظريات علم السرد الكلاسيكي حول الراوي والخطاب السردي وكذلك نظريات السرد البلاغي في نطاق علم السرد ما بعد الكلاسيكي لتفسير النص. يحلل البحث الاستراتيجيات السردية لرواية "ساق البامبو"، ويبحث في العلاقة بين المؤلف الحقيقي والمؤلف الضمني وراوي الرواية، ويحلل خصائص السرد بضمير المتكلم، والاستراتيجية السردية للتنظيم النصي من حيث التشويق والصدفة، وأخيرا يحلل الاستراتيجية السردية للخطاب النصي من حيث الاقتباسات المباشرة وتيار الوعي.

**الكلمات المفتاحية:**

الأدب العربي المعاصر، ساق البامبو، الاستراتيجيات السردية، الراوي، الخطاب النصي

## A Study of the Narrative Strategies of *The Bamboo Stalk*

**Abstract:**

This thesis is guided by narratological theories, utilizing classical narratology's theories on narrator and narrative discourse as well as rhetorical narrative theories within the scope of post-classical narratology to interpret the text. The thesis analyzes the narrative strategy of the novel *The Bamboo Stalk*, explores the relationship between the real author, the implied author, and the narrator of the novel, dissects the characteristics of the first-person narrative, analyzes the narrative strategy of the textual organization in terms of suspense and coincidence, and finally, analyzes the narrative strategy of the textual discourse in terms of direct quotation and stream of consciousness.

**Key Words:**

contemporary Arabic literature, *The Bamboo Stalk*, narrative strategies, narrator, textual discourse

# دراسة في الاستراتيجيات السردية لرواية "ساق البامبو"

**د. لي رن لونغ**
**محاضر في قسم اللغة العربية**
**كلية اللغات والثقافات الشرقية -جامعة الدراسات الدولية بسيتشوان**
**جمهورية الصين الشعبية**

**المقدمة**

"ساق البامبو" هي رواية أنجزها الروائي الكويتي سعود السنعوسي عام ٢٠١١. وقد جذبت الرواية الكثير من الاهتمام منذ نشرها في عام ٢٠١٢، وفي عام ٢٠١٣ فازت بالجائزة العالمية للرواية العربية، وهي الجائزة الأكثر تأثيرا في الرواية في العالم العربي. بطل الرواية هو عيسى، وهو صبي مختلط العرق من أم فلبينية عملت خادمة لدى عائلة كبيرة في الكويت في شبابها، ووقع في حب الابن للعائلة، وأنجبت عيسى، لكن جدة عيسى ما وافقت على هويته وهوية والدته وطردتهما من الكويت. تتمحور الرواية حول بحث عيسى عن هويته أثناء نشأته في الفلبين وعودته إلى الكويت وتكوين أسرة في الفلبين في نهاية المطاف.

يحاول هذا البحث الجمع بين نظرية السرد الكلاسيكية ونظرية السرد البلاغي في نظرية السرد ما بعد الكلاسيكية لتحليل نص رواية "ساق البامبو" وتلخيص الاستراتيجيات السردية التي تجسدها. يؤكد السرد البلاغي على التركيز على التواصل والتفاعل بين المؤلف والنص والقارئ، استنادا إلى تحليل النص، وكذلك على التقنيات السردية التي يكمل من خلالها المؤلف السرد مع جذب انتباه القارئ. يحاول كاتب البحث، من منظور السرد البلاغي، فك رموز التواصل السردي في رواية "ساق البامبو" وكيف يتواصل المؤلف سعود بمهارة مع القارئ من خلال السرد، وما هو الأثر البلاغي الذي ينتج عن ذلك. ومن المأمول أن يسهم البحث في تفسير هذه الرواية.

## ١. المؤلف الحقيقي والمؤلف الضمني والراوي

*الصورة ١ - غلاف الرواية* *الصورة ٢ – الغلاف الآخر في الصفحة الداخلية*

عندما يحصل القراء على هذه الرواية، سيرون أولا اسم المؤلف سعود السنعوسي ومعلومات الناشر على الغلاف (انظر الصورة ١ أعلاه)، ولكن بعد تقليب الصفحات الداخلية للرواية، مثل صفحة حقوق النشر، سيرى غلافا آخر مكتوبا عليه بحروف عربية ولاتينية (انظر الصورة ٢ أعلاه)، ولا يزال عنوان الرواية "ساق البامبو"، لكن المؤلف تغير إلى JOSE MENDOZA، كما أن "الترجمة" و"المراجعة" مكتوبتان أيضا باللغة العربية تحت عنوان الرواية.

وعندما يقلب القراء هذه الصفحة سيرون مقدمة المترجم وكلمة المترجم، وفي مقدمة المترجم يشرح المترجم "إبراهيم" سبب قيامه بترجمة الرواية من الفلبينية إلى العربية، وصعوبات في العملية، ونقاط تحتاج إلى شرح خاص، وما إلى ذلك. عند هذه النقطة سيحتار القراء الذين قرأوا هذا الرواية، من كتب رواية "ساق البامبو"؟ ما هي العلاقة بين هذين الغلافين؟ هل هذا ترجمة أم عمل أصلي مكتوب باللغة العربية؟ من أجل الإجابة على هذه الأسئلة، سيستخدم كاتب البحث المفاهيم السردية الثلاثة للمؤلف الحقيقي، والمؤلف الضمني، والراوي لتحليل هذا "الفخ" الذي نصبه مؤلف الرواية.

المؤلف الحقيقي هو مبدع العمل الأدبي، وهو الشخص الذي يملك حقوق الطبع والنشر لعمل ما، والمؤلف الحقيقي عاش أو لا يزال يعيش في العالم بطريقة عادية، مع العديد من المسؤوليات الاجتماعية، والكتابة هي مجرد دور من الأدوار. على سبيل

المثال، "مو يان" هو الاسم المستعار ل"غوان مو يي"، و"غوان مو يي" في حياته هو "المؤلف الحقيقي" الذي فاز بجائزة نوبل عن أعماله؛ عندما يدخل الشخص العادي الحقيقي غوان مو يي في حالة الخلق، عليه أن "يحول" نفسه إلى حالة مؤلف الرواية. عندما يمسك القلم أو يشغل الكمبيوتر، يدخل غوان مو يي حالة "المؤلف الضمني" ويبدأ في لعب دوره كمؤلف الرواية. في هذا الوقت، بسبب تأثير هويته، ستخضع أخلاقه وحالاته النفسية والعادات والجماليات الأصيلة وما إلى ذلك لبعض التغييرات. ومن ثم فإن "المؤلف" الذي يخلق النص له شخصية مكونة من قيمه وأخلاقه ونفسيته وأذواقه الجمالية ومفاهيمه وغيرها، وهو "المؤلف الضمني". وهذا "المؤلف الضمني" سيخلق أولا "شخصية" افتراضية، وهذه الشخصية هي "الراوي" وهو المتحدث باسم المؤلف الضمني. ويضع الراوي موضع التنفيذ أفكار المؤلف الضمني المختلفة حول السرد والخطاب.

وكما قال عالم السرد الأمريكي تشاتمان: "إن المؤلف الضمني يختلف عن الراوي. فهو لا يستطيع أن يخبرنا بأي شيء. ليس له صوت ولا أدوات للتواصل المباشر. إنه يرشدنا بصمت – من خلال التصميم العام، باستخدام جميع الأصوات وجميع التقنيات التي يختارها ليجعلنا نفهمه." （雷蒙, 1989, 157页） بعد أن يجد المؤلف الضمني "الراوي" الذي يمكنه سرد القصة ومراقبتها نيابة عنه، تكون مهمة دور المؤلف الضمني قد اكتملت بشكل أساسي.

وبتطبيق الوصف النظري في الفقرة السابقة على رواية "ساق البامبو" نجد أن القراء يشعرون بالحيرة عندما يتعلق الأمر بتحديد هوية "المؤلف الحقيقي". فالغلافان المذكوران أعلاه يجعلان القراء يتابعون القراءة. عندما يقرأون النص الرئيسي، يظهر الراوي "أنا" للرواية، وهذا "أنا" يتوافق تماما مع المؤلف "JOSE MENDOZA " على الغلاف للصورة ٢. وهنا قد يرتبك بعض القراء ويظنون أن هذه الرواية هي السيرة الذاتية لعيسى، وقد يتمكن بعض القراء من رؤية الفخ السردي للمؤلف الحقيقي سعود

السنعوسي. وبغض النظر عن رد فعل القراء، فقد تحقق هدف سعود في جذب القراء والتواصل معهم.

ترى نظرية السرد ما بعد الكلاسيكية المستوحاة من مفاهيم جماليات التلقي والنقد التأملي القرائي أن المؤلفين والقراء في علاقة تفاعلية وتبعية ثنائية الاتجاه؛ إذ يختار المؤلفون الحقيقيون أساليبهم السردية الخاصة بهم وفقا لذوقهم وخبراتهم وأنواع أعمالهم، ويكمل القراء عملية الطحن والتصادم والامتزاج بين عالم المؤلف وعوالمهم الخاصة في عملية القراءة.

ومن أجل تحقيق التواصل والتفاعل مع المؤلف وجذب انتباه القراء، يخلط سعود بين المؤلف الحقيقي، والمؤلف الضمني، والراوي، مما يجعل القراء يعتقدون أن هذه المصطلحات الثلاثة تشير إلى نفس الشخص، وهو بطل الرواية عيسى. بالإضافة إلى تحديد "المؤلف الحقيقي" عيسى والراوي "أنا" (أي عيسى)، وهو ما ورد على غلاف الرواية، فإن الرواية تصف أيضا المؤلف الضمني، الذي لا يظهر عادة بشكل مباشر في النص، ولكنه يعتمد على قراءة القارئ لبناء صورة ليست للمؤلف الحقيقي، ولكنها قد تكون مشابهة للمؤلف الحقيقي. وقرب نهاية الرواية يخلق سعود صورة لعيسى الكاتب الذي يظهر في النص:

*أمسكت بالقلم، وبالفلبينية كتبت: "اسمي Jose.." (سعود، ٢٠١٢، صفحة ٣٨٩)*

كما ذكرنا أعلاه، يمكن ببساطة فهم المؤلف الضمني على أنه المؤلف الحقيقي في حالة إبداعية، فعيسى الذي يلتقط القلم في هذه اللحظة، هو "المؤلف الضمني" الذي يسجل حياته. جملة "اسمي Jose" هي أيضا الجملة الأولى من رواية "ساق البامبو". قبل أن يقرأ القارئ هذا الفصل، قام المؤلف سعود بتوحيد المؤلف الحقيقي والراوي إلى أقصى حد، لكن بعد تصوير المؤلف الضمني، يجبر سعود القارئ بعد ذلك على توحيد عيسى في الحياة، وعيسى الكاتب، وعيسى الذي يروي للقارئ القصة، في شخص واحد، مما يؤدي إلى استنتاج أن الرواية ليست عملا روائيا، بل سيرة ذاتية، وهذا يؤدي إلى القرب

اللانهائي بين المؤلف الحقيقي والمؤلف الضمني والراوي. يتيح هذا الإعداد للقراء الاستماع وجها لوجه إلى "المؤلف" عيسى وهو يروي قصصا عن نفسه وعن الأشخاص من حوله. إن قراءة مثل هذا النص ستجعل القراء يشعرون بالواقعية والمؤثرة والحميمية، كما أنها تعزز مصداقية وأصالة النص المحتوى المروي.

من الناحية الهيكلية، يستطيع الراوي "أنا" أن يجمع المواد المتناثرة في وحدة. يستطيع المؤلف ترتيب تطور النص بناء على المشاعر الذاتية للراوي، ويمكنه أن يبدأ السرد من أي نقطة، ويمكنه استخدام المونولوج الداخلي لتقديم العالم الداخلي، ويمكنه أن يروي الزمن كقصة، بحيث يمكن فتح البنية وإغلاقها بحرية ودون قيود.

**٢. السرد الموثوق به بضمير المتكلم**

في الجزء السابق، حلل كاتب البحث العلاقة بين المؤلف الضمني والمؤلف الحقيقي والراوي من خلال دراسة غلاف الرواية والصفحة الداخلية الخاصة التي تسبق النص الرئيسي، وحلل كيف أقام سعود السنعوسي العلاقة بين ثلاثتهم حتى "يضلل" القارئ ويحقق الغرض المطلوب.

وبعد أن يدخل القارئ إلى النص الرئيسي للرواية فإن القسم الأول الذي يقرأه هو:

*"اسمي Jose.....لم تشأ أمي أن تناديني، عندما كنت هناك، باسمي الذي اختاره لي والدي حين ولدت هنا. رغم أنه اسم الرب الذي تؤمن به..... لم أكن الوحيد في الفلبين الذي ولد من أب كويتي، فأبناء الفلبينيات من آباء كويتيين خليجيين وعرب وغيرهم كثر. أولئك الذين عملت أمهاتهم خادمات في بيوتكم، أو من عبثت أمهاتهم مع سياح جاؤوا من بلدانكم بحثا عن لذة بثمن بخس لا يقدمها سوى جسد أنهكه الجوع. هناك من يمارس الرذيلة لإشباع غريزته، وهناك، مع الفقر، من يمارسها لإشباع.. معدته! والثمن، في حالات كثيرة، أبناء بلا آباء." (سعود، ٢٠١٢، صفحة ١٧-١٨ )*

من هذه الفقرة القصيرة، يمكن للقراء معرفة الكثير من المعلومات، ومن بينها، يمكن أن يروا بوضوح أن هذه قصة يتم سردها بضمير المتكلم. يقدم راوي القصة نفسه للجميع في البداية، والقراء الذين رأوا الغلاف الثاني للرواية من قبل سيربطون الآن بين المؤلف "JOSE MENDOZA " في تلك الصفحة وبين راوي هذا القسم.

بعد قراءة الرواية، سيعرف القراء أن "مترجم" الرواية، إبراهيم، هو صديق عيسى بطل الرواية المفضل في الكويت، و"المراجع" هو أخته خولة في الكويت، ويتضمن النصف الثاني من الرواية وصفا لسبب كتابة عيسى للرواية، وكيفية تعاونه مع إبراهيم وخولة وغير ذلك. لذلك، يركز هذا الجزء على تحليل "أنا" الراوي في الرواية. في نظرية السرد بضمير المتكلم، يكون الـ"أنا" إما كبطل الرواية أو كشاهد. وفي كلتا الحالتين، يفسر القارئ عملية السرد بأكملها بالتفاعل مع النص والمؤلف.

في التفاعل بين القارئ ونص "ساق البامبو"، يشغل القارئ أولا موقع القارئ السردي، ويعتبر رواية "ساق البامبو" حقيقية، ويحكم على الراوي والشخصيات بناء على تجاربه المباشرة وغير المباشرة وفي نفس الوقت ويحدد علاقته بالراوي عيسى والشخصيات الأخرى. وفي التفاعل مع المؤلف سيصبح القارئ "قارئا للمؤلف سعود" ويدرك خيالية هذه الرواية، ويستطيع الحكم على نية المؤلف ودور الراوي عيسى على مستوى تقنية السرد، وبذلك يتمكن من إصدار الأحكام حول السرد على أساس إقامة العلاقة بين الذات وبين المؤلف والراوي، وهذا أيضا يكمل عملية السرد بأكملها إلى حد ما.

عندما يكون الراوي "أنا" أيضا بمثابة بطل القصة، يصبح "أنا" بطبيعة الحال محط اهتمام القارئ. في الظروف العادية، واستنادا إلى تجربة الحياة اليومية، سيبدأ القارئ من معلومات "أنا" الشخصية لإكمال الحكم على "أنا". وتشمل هذه المعلومات العمر والجنس والمهنة وما إلى ذلك، وتوافر هذه المعلومات سيجعل القارئ في حالة من الترقب للقراءة.

على سبيل المثال، عندما نعلم أن "أنا" هو رجل عجوز في الثمانينات أو التسعينات من العمر، نتوقع أن نقرأ سردا يتذكره "أنا" عن حياته أو حياة الآخرين، عندما نعلم أن "أنا" شخص بالغ، قد نتوقع أن نقرأ المزيد من السرد العاطفي، وعندما نعرف أن "أنا" طفل، فإن تجربة القراءة الحالية لدينا ستجعلنا نتوقع أن نقرأ كيف سيظهر حدث معين في مجال رؤية الطفل. في رواية "ساق البامبو"، توقعات القراءة التي وضعها سعود للقارئ هي كيف كتب "أنا"، بطل مختلط العرق، عن تجربته في النمو لمدة عشرين عاما.

من خلال المناقشة في الجزء السابق، نعلم أن سعود يستخدم التصميم لجعل القارئ يعتقد أن القصة أقرب ما يكون إلى الحقيقة، وبسبب الحقيقة فإن القارئ قادر على التفاعل عاطفيا مع تجارب الشخصية الرئيسية، عيسى، ولقاءاته، وما إلى ذلك في القراءات اللاحقة. في هذا السرد بضمير المتكلم، يروي "أنا" القصة مباشرة للقارئ، ويضع "أنا" أفكاره وخبراته أمام القارئ ليفهمها. ومن خلال تقنيات السرد التي اتبعها سعود على وجه التحديد، تتوافق الرواية مع قواعد الكتابة بضمير المتكلم في السيرة الذاتية.

تعريف فيليب لوجون للسيرة الذاتية في "عقد السيرة الذاتية" هو: "عندما يكون التركيز الرئيسي للشخص على حياته الشخصية، وخاصة تاريخ شخصيته، فإننا نسمي السرد الاسترجاعي لذلك الشخص المكتوب في السيرة الذاتية النثرية". （菲力浦，2001，14页）هناك "عقد" في السيرة الذاتية، بحيث يمكن للقارئ خارج النص الاعتماد على هذا العقد للتأكد من أنها سيرة ذاتية، بغض النظر عن مدى صحتها. "يسعى مؤلف السيرة الذاتية إلى تبرير وشرح وتأسيس نوع من 'عقد السيرة الذاتية' بشروط مسبقة وبيانات نوايا منذ بداية النص". （菲力浦，2001，14页）

لذلك، في المقدمة في بداية الرواية، أنشأ المؤلف الحقيقي سعود عقدا لسيرته الذاتية للنص في شكل فريد. والجزء الأول من هذا "العقد" هو الغلاف الثاني المذكور في القسم

السابق، والجزء الثاني هو مقدمة موجزة للمترجم، إبراهيم، ومقدمة للمترجم، وكل من المقدمة والتمهيد في شكل شكلي للغاية:

*المترجم*

*إبراهيم سلام، يعمل في حقل الترجمة. يجيد، إلى جانب اللغة الفلبينية، كلاً من اللغتين العربية والإنجليزية..... يعمل حاليا بوظيفة مترجم في سفارة جمهورية الفلبين لدى الكويت.*

*قام بكتابة مواضيع ودراسات عدة تم نشر بعضها في الصحف والمجلات الفلبينية، أهمها:*

- *١٠ أعوام في الكويت (٢٠٠٥).*
- *الدين ليس كما نفهم: نحو تصحيح الممارسات الدينية الخاطئة (٢٠١٠).*

*(سعود، ٢٠١٢، صفحة ٩)*

- *كلمة المترجم*
- *ترجمتي لهذه الأوراق لا تعني بالضرورة موافقتي على كل ما جاء فيها.....*
- *.....لا يحتاج المترجمون عادة إلى تبريرات أو شرح أو اعتذارات حول ما تتضمنه ترجماتهم، ولكن، نظرا لطيب العلاقة التي تربطني بهذا البلد وأهله، وما قدموه لي منذ وصولي وحتى اليوم، ونظرا إلى أن جزءا من هذا العمل يدور في بلادي التي ليس بالضرورة أن تطابق صورتها تلك الصورة التي تبدو عليها في هذه الأوراق، لهذه الأسباب مجتمعة، كان لا بد من الإشارة إلى أن هذا النص، والذي قمت بترجمته، يمثل حالة بعينها، قد تتكرر، بل من المؤكد أنها تتكرر، ولكن، من المؤكد أيضا أنه بالضرورة، وأن تكررت تلك الحالات، أن تعكس صورة عامة، إنما هي حالات كان لا بد من الإشارة إليها.*

.....

- *تنويه: كل ما سيأتي في حواشي هذا النص من دون الإشارة إلى المترجم أو المؤلف هو من شرح الأخت خولة راشد التي تفضلت مشكورة بتدقيق ومراجعة هذا العمل. (سعود، ٢٠١٢، صفحة ١١-١٢ )*

يمكن ملاحظة أنه في عقد السيرة الذاتية الذي وضعه سعود، لا يقتصر الأمر على إضافة مقدمة المترجم، بل إن مقدمة المترجم تسمح لـ"المترجم" بإبداء رأيه الخاص في خصوصية الرواية. ولذلك، إذا لم يقرأ القارئ الرواية مسبقا، فمن المرجح أن يقرأ ويفهم نص "ساق البامبو" كما لو كان سيرة ذاتية للمؤلف. والسيرة الذاتية تبرز بدقة هوية وتبعية الراوي "أنا" والمؤلف "أنا".

سواء كان النص سيرة ذاتية أو رواية خيالية فهو مرتبط بعلاقة الارتباط والاغتراب بين الـ"أنا" الاثنين. كل هذه العلاقات المتشابهة تدفع القارئ إلى عبور الفجوة البنيوية بين الراوي "أنا" ومؤلف النص "أنا" وإلحاق الراوي "أنا" بمؤلف النص "أنا" أي أن يرى "أنا" الراوي على أنها "أنا" مؤلف النص.

ويرجع هذا التفسير الخاطئ إلى أن القارئ يقرأ الرواية التي كتبها سعود على أنها سيرة ذاتية لعيسى، ويعتقد أن عيسى يستذكر ويصف الأحداث التي عاشها شخصيا بطريقة السيرة الذاتية. وبالتالي، فإن الـ"أنا" لديه سلطة لا جدال فيها في سرد تجاربه.

وبمجرد أن تترسخ سلطة الراوي، لا يسع القارئ إلا أن يتقبل التصورات والتفسيرات التي يغرسها في القصة التي تتكشف بعد ذلك، وسيميل إلى الاعتقاد بأن جميع الروايات تستند إلى تجارب المؤلف نفسه ويكون لديه سبب للاعتقاد في صحتها.

باختصار، يستفيد "المؤلف الحقيقي" لهذه الرواية استفادة كاملة من الموثوقية السردية للسيرة الذاتية لإقناع القارئ بصدق وموثوقية ما يقال، وبهذه الطريقة، ومن خلال السيرة الذاتية التي هي أسهل طريقة لبناء ثقة القارئ في رواية المؤلف، ينجح في تمويه هذا العمل الصادر عن عربي على أنه عمل من الفلبين مكتوب باللغة الفلبينية ومترجم من قبل شخص آخر، وفي التواصل مع قرائه عن طريق هذا "الفخ".

**٣. الاستراتيجيات السردية لتنظيم النص**

السبب في ترحيب القراء بالأعمال السردية هو أنه بالإضافة إلى شهرة المؤلف، والطبيعة المعاصرة للموضوع المختار، وجدة أسلوب الكتابة، فإن اهتمام القراء بمصير الشخصيات ونهاية القصة عامل مهم جدا في عملية القراءة. ويعتمد اهتمام القراء بالنص على مهارة الكاتب في سرد القصة، أي على إعداد "التشويق" و"الصدفة" في تخطيط النص.

**٣,١ التشويق**

التشويق هو تقنية سردية مهمة يقوم فيها المؤلف بإعداد موقف في النص يثير اهتمام القارئ وقلقه وتلهفه لمعرفة ما يجري.

من وجهة نظر نصية فإن رواية "ساق البامبو" هي رواية تحكي قصة عيسى، وهو مراهق كويتي-فلبيني، منذ ما قبل ولادته وحتى زواجه وإنجابه طفلا في شبابه، وشخصيات الرواية هي بالأساس من عائلة والدة عيسى الفلبينية وعائلة والد عيسى الكويتية، والرواية تعتمد بنية من خمسة أجزاء، مع عدد من الفصول الفرعية في كل جزء. يضع المؤلف الكثير من التشويق في هذه العلاقات المعقدة بين الشخصيات والخيوط السردية المتقطعة. كما توفر هذه الأجزاء الفرعية المتقطعة آلية للمؤلف سعود لضبط إيقاع السرد خلال لحظات الصراع المتوترة، أي إبطاء أو إيقاف سير السرد، ومن ثم جعل نهاية الصراع تبدو كنوع من حالة عدم الحسم، وهي آلية لتشكيل التشويق.

على سبيل المثال، في الجزء الثاني من الرواية، بعد ولادة عيسى، اضطر إلى العودة إلى الفلبين مع والدته بسبب تمييز جدته ومعارضتها له، حيث لديها جدها ميندوزا القوي والوحشي، وعائلة عمها، وخالتها آيدا التي حملت في شبابها كعاهرة، وأختها الكبرى ميرلا ذات البشرة البيضاء التي لا تعرف من هو والدها.

وهناك أيضا امرأة عجوز غامضة تعيش في فناء منزل عيسى، وفي رواية عيسى في الجزء الثاني أن هذه العجوز وحش للأطفال، لا زوج لها ولا أولاد، ولا أحد يعرف

عمرها، وكانت جدة عيسى تنظف منزلها كل أسبوع قبل أن تموت، ثم تولت أم عيسى وآيدا هذه المهمة، وتناوبت نساء الحي على إحضار الطعام لها، في هذا الجزء، تنتهي رواية المرأة العجوز الغامضة، يعلم عيسى بهوية المرأة العجوز حتى القسم الأخير من الجزء الثالث للرواية، بعد سماعه خبر وفاتها، اكتشف عند عودته إلى المنزل أنها والدة جد عيسى ميندوزا.

في سرد رواية "ساق البامبو"، يستخدم المؤلف أيضا تقنية الإنذار المسبق من أجل تحقيق تأثير التشويق. الإنذار المسبق هو شكل من أشكال التلميح من أجل جعل التطورات التالية تتوالى بشكل منطقي.

ذكرنا أعلاه أن المرأة العجوز الغامضة هي والدة جد عيسى ميندوزا، فأين والد ميندوزا؟ يشكل هذا السؤال تشويقا عالقا في الرواية. ولإعطاء إجابة على هذا التشويق، يضع المؤلف سعود عددا من الإنذارات المسبقة، مثلا، لماذا يقول الجد في أغلب الأحيان إنه يكره الناس دون آباء؟ لماذا يشير إلى حفيدته بأنها لقيطة صغيرة ولدت من عاهرة بلا أب؟ لماذا قال الجد عند رؤية عيسى لأول مرة: طفل آخر بلا أب؟ قد يتكهن جزء من القراء بأن الجد كان هناك بسبب الإثارة التي كان يعيشها في ساحة المعركة، وقد يظن البعض أن ميندوزا كان يسعى للربح ولا ينتظر من ابنتيه سوى بيع جسدهما ليجني المال له، ولا يريد أن يتحمل تكلفة تربية الأولاد، إلى آخر هذه التساؤلات. ولكن بعد وفاة المرأة العجوز الغامضة، يتم حل الكثير من الألغاز والتشويق المتعلق بالجد ميندوزا، يمكننا أن نعرف من هذه المحادثة بين عيسى ووالدته:

- *(عيسى) تلك العجوز والدة ميندوزا.. من يكون والده؟*

*نظر إليّ بعينين تذرفان الدموع. صفعتني بقولها:*

- *ليس له أب.. (سعود، ٢٠١٢، صفحة ١٧٧)*

عند هذه النقطة، نفهم تماما مصدر شخصية الجد العنيفة: لقد كان هو نفسه أول فرد بلا أب في العائلة، وكان يكره نفسه وأمه وأبيه الذي لم يكن موجودا أبدا، لدرجة أنه

أوقع هذه الكراهية في ذريته. ولذلك، فإن الشيء الرائع في استخدام الإنذار المسبق لطرح التشويق هو أنه غالبا ما يتيح للقراء الحصول على تنوير مفاجئ بعد فهم الإجابة، وفي الوقت نفسه الإعجاب ببراعة المؤلف في التخطيط والترتيب.

**٣,٢ الصدفة**

الصدفة هي تقنية فنية شائعة الاستخدام في الإبداع الأدبي، لأن أي عمل أدبي يخضع لقيود الزمان والمكان والطول، مما يتطلب من المؤلف التركيز على سرد القصص والأحداث، وقد أصبحت الصدفة وسيلة فعالة للتعامل مع هذه المشكلة.

ومن أهم الدلائل السردية في رواية "ساق البامبو" هو تتبع مكان وجود راشد والد عيسى، وقد علمت والدة عيسى وابنها بمصير راشد خطوة بخطوة عبر الصدفة. من أجل جذب القراء، لا بدّ للمؤلف سعود أن يبتكر حبكات غريبة ويبني تراكيب عبقرية تبرزها الصدفة.

في الرواية، يعيش عيسى ووالدته على نفقة والده منذ عودتهما إلى الوطن، ولكن عندما اندلعت حرب الخليج، اختفت أموال والده مع أخباره، وكانت والدته تكافح لمعرفة مكان وجوده، عندما ظهر كاتب من الكويت اسمه إسماعيل، وهو يكتب عملا عن حرب الخليج:

- *هذه رواية تسجيلية لنشاطنا وأحداث أشهر الاحتلال السبعة.. شرعت في كتابتها منذ ما يربو على الخمسة أعوام.. والغريب في الأمر..*

*تردد الرجل قبل أن يكمل:*

- *ليلة البارحة..*

*هزت أمي رأسها تحثه على المواصلة:*

- *ليلة البارحة فقط.. انتهى دور راشد فيها واقعا في أسر قوات الاحتلال! (سعود، ٢٠١٢، صفحة ٩٩-١٠٠ )*

بعد ذلك انقطع خيط السرد من جديد وأصبح تشويقا. قد يبدو التعرف على مكان وجود والد عيسى من خلال كاتب يعيش في الفلبين أمرا غريبا، لكن الصدفة في كل

رواية قد لا تتوافق بالضرورة مع منطق الحياة، بل يجب أن تتوافق مع منطق السرد. وبعد هذه القصة، ذهب عيسى للعمل في الحي الصيني بالفلبين، ومن ثم ذهب إلى جزيرة بوراكاي لخدمة السياح، ومن بين هؤلاء السياح، صادف أن التقى عيسى بمجموعة من الكويتيين، وتبادلوا أطراف الحديث معهم عند المغادرة حيث قال أحدهما لعيسى إن الكويت لن تقبله، فيما اقترح الآخر عليه العودة إلى وطنه.

في هذه المرحلة من القصة، يبدو أن عيسى سيعطى خيارين، لكن المؤلف قد وضع سلسلة من الصدف، كل واحدة منها يمكن أن تساعد المؤلف في خلق قصة جديدة وبدء رواية جديدة. وبعد وداع السائحين الكويتيين الشباب، تلقى عيسى مكالمة هاتفية، أخبرته والدته بوفاة جده، وفي اليوم الخامس بعد وفاة الجد ميندوزا، اتصل صديق والد عيسى بوالدته وأخبرها أن والده توفي في جنوب العراق. وبعد أسبوع من دفن ميندوزا، ماتت العجوز الغامضة أيضا. تلعب هذه السلسلة من الأحداث المصادفة دورا كبيرا في تعزيز تقدم القصة وإثارة اهتمام القراء.

ويمكن ملاحظة أن الصدفة هي "الصمغ" في رواية "ساق البامبو"، فهي تربط بين قصص غير مرتبطة، وتربط شخصيات غير مرتبطة لتشكل صورة فنية كاملة وموحدة. يرتب سعود العديد من تجارب السفر لعيسى في الرواية. وفي كل رحلة، كان يلتقي بأنواع الأشخاص، وكانت الصراعات بين هؤلاء الأشخاص تجلب قصصا جديدة مختلفة.

الصدفة هي أيضا نوع من "التصفية" التي تنقي وتصفي العديد من المؤامرات غير الضرورية في الحياة، وبالتالي التركيز على عكس الصراعات وإظهار المشاهد المؤثرة والتقلبات. تتضمن رواية "ساق البامبو" تنوعا كبيرا في المناطق والأشخاص والأحداث التاريخية، مما دفع المؤلف سعود إلى اختيار بعض الشظايا الأكثر إثارة للاهتمام والتي يتردد صداها لدى القراء في القصة التي تصورها. وهذا أيضا هو سبب وجود بعض الصدف: فهي يمكن أن تجعل بعض الأحداث مرتبطة ببعضها البعض وتجعل الصراعات أكثر تركيزا.

تعد الصدفة أيضا نوعا من "المحفز"، حيث تساهم في تطوير الشخصيات وتعميق الفكرة الرئيسية للعمل من خلال سلسلة من الأحداث غير المتوقعة مثل اللقاءات الغريبة وسوء الفهم والتغيرات المفاجئة. تلتقي الشخصية الرئيسية، عيسى، بأشخاص من أماكن وديانات مختلفة وتتعرف عليهم بالصدفة، سواء كانت عمتها ذات الخلفية المسيحية في منزلها الفلبيني، أو مديرها السيد تشانغ الذي يؤمن بالبوذية في الحي الصيني، أو المسلم السيد إبراهيم من الكويت، فكلهم يساعدون عيسى على استكمال مسار الهوية إلى حد ما. ولذلك، فإن نسج الحبكة ما هو إلا الشكل الخارجي للصدفة، بينما إظهار البيئة الاجتماعية وتصوير الشخصيات وتعميق موضوع العمل هو الوجهة النهائية للصدفة.

**٤. الاستراتيجيات السردية في الخطاب النصي**

تفضل رواية "ساق البامبو" استخدام اللغة والحركة لتشكيل الشخصيات والمضي قدما في الحكاية، وتوظيف قدر كبير من حوار الشخصيات والمونولوج، والوصف الداخلي وتيارات الوعي، وهذه الأصوات المضمّنة في النص تتواصل مع القارئ في كل الأوقات.

**٤,١ استخدام الاقتباسات المباشرة**

"الاقتباسات" تلغي آثار الراوي في النص، ولذلك غالبا ما ينظر إليها على أنها تسجيل للغة الشخصية. وتعزز الخطابات النصية المختلفة من غنائية لغة الشخصيات والأثر الفني للعمل، كما أن تنوع أصوات الشخصيات يتردد صداها في أذن القارئ، مما يزيد من درجة التفاعل. وبما أن الراوي يكمل السرد بضمير المتكلم، فإن الاقتباسات المباشرة هي الأكثر شيوعا في الرواية، لا سيما في حوار الشخصيات.

فعلى سبيل المثال، قبل ولادة عيسى وبعد أن حملت العمة آيدا وأنجبت، أراد الجد ميندوزا أن تستمر عايدة في بيع جسدها لتكملة دخل الأسرة، وعندها قامت آيدا بثورة مسعورة:

أشارت آيدا بسبابتها نحو أبي.. أردفت:

*- كل الرجال الذين قدمت لهم جسدي.. ديوك..*

*شيء من الندم، أو ربما الخوف، بدا على وجه أبي الذي لم يتزحزح من مكانه:*

*- آآ.. آ.. آيدا!*

*كان هذا الفعل الوحيد الذي قام به أبي.. أن نطق باسمها. لم تسمعه آيدا. واصلت:*

*- وأنا!.. أنا سئمت من القيام بدور الدجاجة!*

*رفعت ثوبها كاشفة عن ركبتيها. تجاوزت بساقيها سور البامبو القصير الذي يحيط الحظيرة. انتصبت في منتصفه، ثم نفخت صدرها ناظرة للأعلى:*

*- كو كو كو كووووووو! (سعود، ٢٠١٢، صفحة ٢٥-٢٦)*

يمكن ملاحظة أن الرواية تستخدم الاقتباسات المباشرة لنقل كلام الشخصيات وأنشطتها النفسية، وحتى التجويد والتوقفات عندما تتحدث الشخصيات يتم تقليدها قدر الإمكان. في المثال أعلاه، تم تمثيل صوت الجد عيسى المرتعش من خلال الكلمات المتكررة، وخطاب العمة آيدا شبه المجنون والمتقطع يتم تمثيله حقا من خلال علامات الحذف في النص. يحلل كاتب البحث في الجزء الأول إعداد الراوي في الرواية، والذي يمكن أن نستشف منه أن الشخصية الرئيسية، عيسى، تحكي القصة كلها في شكل سيرة ذاتية، لكن الكثير من الأحداث في سرد عيسى وقعت قبل ولادة عيسى كما في المثال أعلاه، وهنا يختار المؤلف سعود استخدام الاقتباس المباشر ليعيد سلطة الكلام إلى الشخص المعني، كما يمنح القارئ فهما أوضح لكل شخصية وإحساسا بأنه في وسط الحدث.

**٤,٢ استخدام تيار الوعي**

ركز الروائيون في القرن العشرين على الوعي الإنساني واعتبروا الوعي حالة من التغير الذهني في حركة دائمة، ومن هنا ولدت تقنية تيار الوعي. هناك الكثير من مقاطع تيار الوعي في نص رواية "ساق البامبو"، ومعظمها في المونولوج الداخلي لبطل الرواية عيسى، فالراوي عيسى يتخذ من تجربته العاطفية الخاصة وتدفق العالم الروحي أساسا له، ومن خلال تدفق الوعي كخيط تطور القصة، يقوم بتطويع العالم المادي

الخارجي والتعبير عنه عاطفيا، ويحكي تجاربه ومشاعره الخاصة عن العالم الخارجي في عملية التدفق في عالم العقل.

على سبيل المثال، بينما كانت عيسى تساعد خالتها آيدا في رعاية أريان طفل والدتها من زوج جديد، سقط أدريان في بركة بسبب إهمال العائلة، وذكر عيسى أنه "شرحت لي ما ترتبت عليه صورة لا تزال تومض في ذاكرتي غير واضحة المعالم.":

*ظلام.. مطر شديد.. برق ورعد.. خالتي آيدا، تحت المطر، تنادي: "أدرياااان.. أدرياااان"..... ثيابهم المبتلة تلتصق بأجسادهم.. المطر ينهمر بقوة.. أنوار المصابيح.. خطوط مستقيمة متشابكة لا تستقر في موضع.. وأنا..... (سعود، ٢٠١٢، صفحة ٨٤)*

من الواضح أن هذه الفقرة تستخدم تقنية "المونتاج" في تيار الوعي. "يشير ما يسمى بالمونتاج، في أبسط أشكاله، إلى المساحة ذات المعنى التي يتم إنشاؤها عن طريق الاتصال والجمع بين اللقطات." （杨匡汉，1986，182页） تبرز هذه التقنية من خلال حركة وتداخل الصور الزمانية والمكانية. في هذا المقطع، يمكن ملاحظة أن الزمان والمكان والصور كلها إكسسوارات لوعي عيسى، وهذه الصور التي يراها القارئ في النص، تعرض بالكامل تحت قيادة وعي الشخصية، حتى لكأن المرء يتابع عدسة كاميرا مهتزة في البحث عن الحقيقة، وهذا من ناحية يزيد من التعبير الفني للنص، ومن ناحية أخرى يترك صدى طويلاً في قلب القارئ ويحقق غرض التواصل.

ومن التقنيات المهمة الأخرى لتيار الوعي تقنية "الارتباط الحر". يمكن استخدام الارتباط الحر لتمثيل النشاط الواعي، ويتم التعبير عن هذه الوظيفة في رواية "ساق البامبو" من خلال تقنية المونولوج الداخلي. على سبيل المثال، في طريق عودته إلى المنزل بعد العمل في الحي الصيني في مانيلا، فكر عيسى في حافلة مزدحمة أنه بدا وكأنه يسير على جسر يربط بين مدينتين:

*أمضي في السير مبتعدا عن مدينتهم.. تبتعد أصوات الضحكات.. تتلاشى الأغنيات.. أواصل السير.. أتعب.. أسعل.. ينحني ظهري وأشيخ.. تتناهى إلى سمعي*

*أصوات أخرى تأتي من البعيد ثم تقترب.. بكاء.. رجاء.. شكوى.. صلاة.. لعنات.. تحيب. (سعود، ٢٠١٢، صفحة ١٤٤)*

من هذا الوصف، يمكن أن نرى أنه على الرغم من وجود جسد عيسى في الحافلة، إلا أن أفكاره قد امتدت إلى ما لا نهاية. وتربط أفكار عيسى بين أنشطته الواعية الحالية وذكرياته الماضية وتخيلاته المستقبلية، مشكّلة بنية تبدو فوضوية ومقلوبة، لكنها في الواقع متمركزة ومتشابكة. سعال الركاب في الواقع يذكر عيسى بأنه يكبر ويحمل قدرا كبيرا من التوتر، ويشعر بانحناء ظهره، ثم يربط ذكرياته بالتوبيخ والسباب والشتائم والبكاء الذي ملأ بيته، والحافلة في الواقع تتجه إلى بيته، ويتدحرج وعي عيسى مع العجلات إلى بلدته في ذكرياته.

**الخاتمة**

القراء هم المتلقون للنصوص الروائية، ولكنهم أيضا الفاعلون في بناء المعاني النصية، ويكمن جوهر تاريخ الأدب في أن جيلا بعد جيل من القراء يستمرون في إثراء وإغناء قيمة وحياة الأعمال بالتجارب التي يتلقونها. وفي حين يركز علم السرد الكلاسيكي عادة على الظواهر المتجسدة في النص فقط، فإن علم السرد ما بعد الكلاسيكي يدمج عضويا المؤلف والنص والقارئ. في رواية "ساق البامبو"، يتسم تصميم المؤلف للراوي بالبراعة في السرد، وقد تعمد تصميم بعض الفخاخ السردية لتحقيق تأثير سردي فريد. ومن خلال الاستراتيجيات السردية للتنظيم النصي والخطاب النصي يؤسس المؤلف بنية الاستدعاء على مستوى القراءة، التي تجذب القارئ في تفاصيل التشويق السردي والصدف وحوار الشخصيات والأوصاف الداخلية، وبالتالي تحقق التفاعل التواصلي. وهكذا، تجسد الاستراتيجيات السردية لرواية "ساق البامبو" السمات الرئيسية لعلم السرد ما بعد الكلاسيكي.

## المصادر والمراجع

أولا: المصادر العربية
١- سعود، السنعوسي. (٢٠١٢). ساق البامبو، بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون.
٢- كردي، عبد الرحيم. (٢٠٠٦). الراوي والنص القصصي، بيروت: مكتبة الآداب.
٣- كاظم، نادر. (٢٠٠٦). الهوية والسرد: دراسات في النظرية والنقد الثقافي، المحرق: مركز الشيخ إبراهيم بن محمد آل خليفة للثقافة والبحوث.
٤- مصطفى، عبد الغني. (٢٠٠٧). الاتجاه الإنساني في الرواية العربية، دمشق: دار اليمامة.
ثانيا: المراجع الصينية
1- 菲力浦·勒热纳（2001）。自传契约，杨国政译。上海：三联书店。
2- 格非（2005）。小说叙事研究。北京：清华大学出版社。
3- 雷蒙·凯南（1989）。叙事虚构作品，姚锦清等译。上海：三联出版社。
4- 杨匡汉（1986）。缪斯的空间。广州：花城出版社。
5- 赵毅衡（1998）。当说者被说的时候。北京：中国人民大学出版社。